



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

السيناريوهات المستقبلية للجماعات السلفية الجهادية في الشرق الأوسط

علي نجات



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

السيناريوهات المستقبلية للجماعات السلفية الجهادية في الشرق الأوسط

علي نجات *

المقدمة

كانت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا بؤرة للعديد من الأزمات في العقود الأخيرة، ومن ضمن الظواهر الجديدة التي تسببت في التوتّر في هذه المنطقة هي التيارات السلفية المتطرفة، ويعود نمو الحركة السلفية الجهادية إلى الثمانينيات القرن الماضي كذلك، وبعد أحداث الربيع العربي، وبسبب الفراغ الأمني، وُقِرَتْ مساحة وبيئة مناسبة لأنشطة الجماعات الإسلامية الجهادية، بما في ذلك تنظيم القاعدة، ويُعدُّ ظهور تنظيم "داعش" وصعوده وإعلان الخلافة عام 2014 نقطة تحوّل في تشكيل الجماعات الإسلامية المتطرّفة وتطوُّرها.

قبل الثورات العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، لم يُسمح للحركات السلفية المتطرّفة بالتحرك؛ لوجود قوى قمعية على رأسها، وحتى الجماعات السلفية المعتدلة تعرّضت للقمع الشديد، ومُنِعَتْ من العمل، ولكن مع اندلاع الثورات العربية في عام 2010، وُقِرَتْ أُسُس نشاط الجماعات السلفية وتوسيعها، ونتيجة لذلك، سرعان ما ظهرت الجماعات الجهادية بوصفها جهات فاعلة نشطة على الساحة وبدأت، إلى جانب القوى السياسية والاجتماعية الأخرى في تحديث منظماتها، وهكذا، مع تشكيل جولة جديدة من الاضطرابات في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، بما في ذلك (تونس، وليبيا، ومصر، وسوريا، واليمن، أنشئت أرضية مناسبة وبيئة ملائمة للجماعات السلفية الجهادية.

أصبحت الجماعات السلفية الجهادية الآن من أهم التيارات الدينية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ولا يمكن تقييم التطورات الجديدة في المنطقة من دون فهم هذا التيار، برزت (القاعدة، وداعش وطالبان، وجبهة النصرة، وبوكو حرام) وغيرها، بوصفهم رموزاً جديدةً للسلفية الجهادية في العصر الحديث.

لذلك تسعى هذه الورقة إلى الإجابة على ثلاث أسئلة رئيسة وأساسية، الأول: ما أهم

* كاتب وباحث متخصص في شؤون الشرق الأوسط والحركات الإسلامية.

الجماعات السلفية الجهادية الناشطة في الشرق الأوسط؟ والثاني: ما أسباب نمو هذه المجموعات في الشرق الأوسط وتوسُّعها؟ والثالث: ما السيناريوهات المستقبلية للجماعات السلفية الجهادية في هذه المنطقة؟

للإجابة على هذه الأسئلة، قُسم هيكَل المقالة على ثلاثة أجزاء، الجزء الأول: يُشير إلى أهمِّ الجماعات السلفية الجهادية الناشطة في المنطقة، ويتناول الجزء الثاني: أسباب ظهور الجماعات السلفية الجهادية في الشرق الأوسط وسياقاتها، في حين يتناول الجزء الثالث: التحليل المستقبلي للجماعات السلفية الجهادية الناشطة في الشرق الأوسط والسيناريوهات المستقبلية لها.

أولاً: الجماعات السلفية الجهادية الناشطة في الشرق الأوسط

تنظيم القاعدة

تنظيم القاعدة، الذي أسَّسه أسامة بن لادن ورفاقه أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، هو رمز للأصولية الإسلامية المتطرفة التي تدعو -بمنهجها الوهابي والسلفي- العالم الإسلامي إلى إحياء الفكر الجهادي؛ لمحاربة الكفار والمشركين وهدفها النهائي هو إحياء الخلافة الإسلامية واستعادة عظمة المسلمين.

شهد تنظيم القاعدة أربع موجات أو فترات تاريخية منذ نشأته، فكانت نقطة التحوُّل في الفترة الأولى هي أحداث 11 سبتمبر 2001، والتي تُعدُّ أكبر عملية إرهابية في تاريخ الولايات المتحدة، إذ ضعفت القاعدة بعد هذه العملية الإرهابية في عامي 2001 و 2002، وقد رَدَّت الولايات المتحدة بقوة على القاعدة، فقتلت بعض قادتها في أفغانستان وباكستان واعتقلهم بعضهم الآخر.

تشكَّلت الموجة الثانية للقاعدة عام 2003 بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، إذ إنَّ الفراغ الأمني الذي أحدثته الغزو الأمريكي للعراق دفع "أبو مصعب الزرقاوي" إلى تشكيل جماعة الجهاد والتوحيد، التي أُعيدَ تسميتها بتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وكان نشاط هذه المجموعة مرتفعاً للغاية حتى عام 2005، ولكن منذ عام 2006، وخاصة بعد اغتيال "أبو مصعب الزرقاوي" تضاءلت أنشطتها الإرهابية، وفي هذه المدَّة فضلاً عن زعيم القاعدة في العراق، قُتِل العديد من قادة القاعدة في باكستان بطائرات أمريكية من دون طيار.

كانت الموجة الثالثة من نشاط القاعدة من 2007 إلى 2011، وبعد ظهور "أنور العولقي" زعيم القاعدة اليمني الأمريكي في اليمن، وتشكيل القاعدة في شبه الجزيرة العربية وفي 5 نوفمبر/تشرين الثاني 2009، أطلق اللواء بالجيش الأمريكي "نضال مالك حسن" المرتبط ب"أنور العولقي" النار على القوات في قاعدة "فورت هود" التابعة للجيش الأمريكي في تكساس، مما أسفر عن مقتل 13 شخصاً وإصابة 30 آخرين، وكانت إحدى نقط التحول في هذه المدّة مقتل "أسامة بن لادن".

أُغتيل "بن لادن" مؤسس القاعدة وزعيمها "ذو الكاريزما" في مايو/أيار 2011 من قبل القوات الأمريكية في باكستان، كما قُتل "أنور العولقي" في غارة بطائرة من دون طيار في اليمن بعد وقت قصير من مقتل "أسامة ابن لادن".

بدأت الموجة الرابعة للقاعدة مع بداية الربيع العربيّ في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، طغت بداية الانتفاضات الشعبية والثورات في العالم العربيّ على اغتيال كبار قادة القاعدة في البداية، كانت الثورات العربية تشكّل تهديداً مباشراً للقاعدة؛ لأنها كانت قائمة على الإرهاب والعنف، ولكن الافتقار إلى بدائل للحكومات التي أُطيحَ بها والإدارة غير الفعّالة للحكومات العربية ما بعد الربيع العربيّ، فضلاً عن تدخّل القوى الكبرى وحلف شمال الأطلسي في بعض البلدان للعب دور في الحكومات الجديدة، وفر فرصة مثالية لتنظيم القاعدة لإعادة رسم مسار التوسّع في شمال إفريقيا والشرق الأوسط.

في الواقع إنّ انعدام الأمن وعدم الاستقرار الذي تسبّب فيه الثورات العربية قد وفّر الظروف والفرص الجيدة للقاعدة، وبذلك استطاع تنظيم القاعدة الاستفادة من هذا الفضاء والوضع وإقامة قواعد وفروع جديدة في دول جديدة بينها سوريا، وتعزيز وجوده في مناطق أخرى مثل اليمن، ولكن بعد صعود تنظيم داعش وإعلان خلافة "أبو بكر البغدادي" عام 2014، أصبحت القاعدة أضعف ممّا كانت عليه في الماضي المهم في الموجة الرابعة أنّ القاعدة التي كانت تعُدُّ نفسها حتى عام 2010 العدو الرئيس، عدو البعيد لا سيّما الغرب، غيرت موقفها ووضعت العدو القريب على أجندتها⁽¹⁾.

للقاعدة الآن فروع عديدة نشطة في بلدان مختلفة من العالم عموماً، وللقاعدة خمسة فروع رئيسية: (جبهة النصرة في سوريا، والقاعدة في شبه الجزيرة العربية، والقاعدة في شبه القارة الهندية في جنوب آسيا، وحركة الشباب في الصومال، والقاعدة في المغرب الإسلامي في شمال إفريقيا) فضلاً

عن ذلك، تتمتع القاعدة بعلاقات واسعة مع مجموعات مختلفة في جميع أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وآسيا، مثل: (بوكو حرام، وطالبان) وعندها خلايا نائمة في معظم الدول الأوروبية.

طالبان

طالبان هي جماعة مسلحة سلفية من جماعة "البشتون" العرقية في أفغانستان تقاتل للإطاحة بالنظام السياسي في كابول، وتأسيس الإمارة الإسلامية وشكلت حكومة مرتين باحتلال كابول، عاصمة أفغانستان، وقد تحوّلت حركة طالبان التي برزت بوصفها قوّة مؤثّرة خلال فترة الحرب الأهلية الأفغانية عقب الغزو السوفيتي، إلى أكثر الجهات السياسية الفاعلة في البلاد على مدى السنوات الـ 25 الماضية.

أسّس "الملا محمد عمر" حركة طالبان في سبتمبر/ أيلول 1994، مع 50 طالب من طلاب المدارس الدينية في ولاية "قندهار" جنوبي البلد، ووصل عدد منتسبي الحركة، التي بدأت بـ 50 شخص، إلى 15 ألفاً بعد إقبال طلاب المدارس الدينية الأفغانية على الانسحاب إليها⁽²⁾.

ظهرت طالبان في هذه البيئة المضطربة؛ بهدف إنشاء "نظام إسلامي قائم على الفقه الحنفي" في أفغانستان، ويعتمد تفكير طالبان وسلوكها على التفسير التقليدي للشريعة الإسلامية (الديوبندية، والسلفية، والوهابية) والقواعد الصارمة لقبائل البشتون¹.

دخلت حركة طالبان كابول مساء يوم 27 سبتمبر 1996، ورفعت علماً أبيضاً فوق برج القصر الرئاسي، وسيطرت على جميع أنحاء العاصمة، وأطلقت على حكومتها اسم «إمارة أفغانستان الإسلامية»، إذ حكمت طالبان أفغانستان من عام 1996 إلى عام 2001، واعترفت كل من باكستان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة فقط بالنظام الذي أنشأته طالبان في أفغانستان بين أعوام 1996 و 2001.

وفي غضون هذه المدّة، قامت طالبان بحماية الملياردير السعودي "أسامة بن لادن" الذي نظّم بعض المجاهدين الأجانب الذين قاتلوا ضد السوفيت في أفغانستان في الثمانينيات ضمن شبكة القاعدة، وحين كان ابن لادن يخطط الأعمال الإرهابية الدولية ويديرها للقاعدة في أفغانستان، كان في الوقت نفسه يقدّم الدعم المالي لطالبان، وكان المقاتلون المرتبطون به يقاتلون أيضاً في صفوف طالبان، ويشاركون في معارك الحركة.

1. البشتون: هم مجموعة عرقيّة تقطن بجنوب أفغانستان وشرقها، ومناطق الشمال الغربي الحدودية والمناطق الفدرالية المدارة قبليا وإقليم بلوشستان بغرب باكستان.

وفي ديسمبر/ كانون الأول 2000، أصدر مجلس الأمن الدولي قراراً برقم 1333 والذي يقضي بفرض عقوبات على نظام طالبان لسماحها باستعمال أفغانستان بوصفها قاعدةً وملاًذاً آمناً لتنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن وجماعات أخرى، وفي أعقاب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001، رفضت طالبان تسليم أسامة بن لادن، زعيم القاعدة السابق والعقل المدبر لهجمات 11 سبتمبر، وهذا هو سبب غزو الولايات المتحدة لأفغانستان.

سقطت حكومة طالبان بعد الغزو الأمريكي، لكن لم يُفَضَّ على الجماعة بالكامل، إذ أُعيدَ تنظيم حركة طالبان، بقيادة «الملا محمد عمر» في عام 2003، وشنت حرب عصابات ضد الحكومة المركزية الأفغانية وقوات الناتو، واستعادت الجماعة السيطرة على أجزاء مختلفة من أفغانستان بتفجيرات على جوانب الطرق وكماثن وهجمات حرب عصابات في مناطق ريفية، فضلاً عن تفجيرات انتحارية في مدن أخرى.

منذ عام 2005، كانت طالبان تحتلُّ تدريجياً الأرض، وتشكّل حكومة الظل، ولكن الوجود الكبير للقوات الأجنبية إلى جانب الجيش والشرطة الأفغانية كان عقبة رئيسة أمام تقدُّم طالبان ومع ذلك، استولت الجماعة تدريجياً على بعض المناطق النائية، وأثبتت هيمنتها على هذه المناطق.

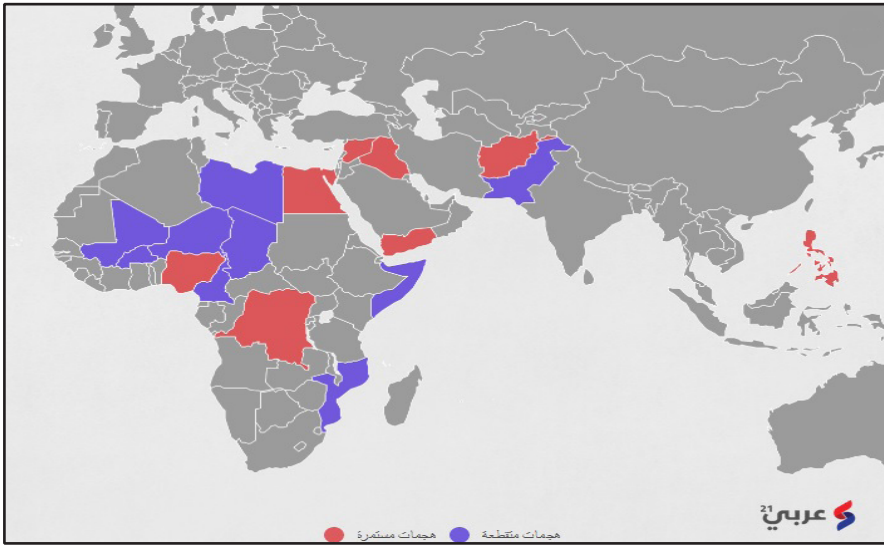
كان التوسُّع في الأراضي التي تسيطر عليها طالبان بطيئاً على مدار خمسة عشر عاماً الماضية، ولكنه تصاعد وارتفع ارتفاعاً حاداً منذ تولى الرئيس الأمريكي «جو بايدن» منصبه وقراره بسحب القوات الأمريكية من أفغانستان من دون قيد أو شرط، وبعد انسحاب قوات الناتو من أفغانستان في أوائل مايو/ أيار 2021، تمكَّنت طالبان من استعادة السيطرة على أفغانستان بأقل قدر من الصراع، وتشكيل حكومة مؤقتة.

داعش

كان صعود تنظيم داعش في عام 2013 مؤشراً على بدء حقبة جهادية جديدة، فداعش أعلن عن هدف بعيد المدى، هو إقامة دولة إسلامية، أو خلافة، تستند إلى اجتهادات متطرفة للغاية في الشريعة، ماجعله أكثر من مجرد تنظيم إرهابي، وعلى الرغم من أنَّ أصوله ترقى إلى أُنْها فرع من تنظيم القاعدة في العراق، والحال أنَّ تنظيم الدولة الإسلامية هو مجموعة هجينة، فهو صادر الإيديولوجيا الإسلامية الراديكالية للقاعدة، وعمد في الوقت نفسه إلى تطبيق بعض التكتيكات من بُنى الحوكمة المحلية لحركة طالبان الأفغانية.

اعتمدت استراتيجية داعش في البقاء والنمو على مروحة من العوامل: "البراغماتية" في مايتعلق بالنظام السوري؛ والسيطرة على الأراضي وتطويرها بوصفها وسيلة لسؤس السكّان وجذب المقاتلين الأجانب؛ واستعمال الإيديولوجيا والإعلام بوصفهما أداة للسيطرة على الناس، وتجنيد المقاتلين، وجمع الأموال، وتطوير استراتيجية عسكرية مركزية⁽³⁾.

في استراتيجية "داعش" الهيمنة على مساحة كبيرة أمر مهم للغاية في الواقع، وكان أحد العوامل الرئيسة في شهرة "داعش" العالمية هو هيمنتها على مناطق شاسعة من العراق والشام في عامي 2014 و 2015، تمكّن داعش من احتلال مناطق عديدة في العراق وسوريا، ولكن تنظيم داعش كان ضعيفاً منذ عام 2016، لا سيّما أنّه فقد أراضيّه المحتلة في العراق عام 2017 وأراضيّه المحتلة في سوريا عام 2019.



ومع ذلك، يواصل تنظيم داعش الإرهابي نشاطه في عديدٍ من البلدان في آسيا وإفريقيا، بما في ذلك العراق وسوريا وليبيا وأفغانستان، بعد هزيمته على الأرض وحتى بعد مقتل "أبو بكر البغدادي" كما هو موضّح في الصورة أعلاه، يُشير اللون الأحمر إلى استمرار هجمات "داعش" في هذه البلدان، ويُشير اللون الأزرق إلى الهجمات الدورية التي تشنّها جماعة "داعش" الإرهابية.

جبهة النصرة

بعد اندلاع الأزمة السورية في آذار/مارس 2011، قرّر المقاتلون السوريون وأعضاء تنظيم الدولة الإسلامية في العراق "داعش" وجماعات أخرى من تنظيم القاعدة في العراق، تشكيل جماعة جهادية لمحاربة النظام السوري، وفي هذا الصدد ومن تكوين مجموعات جهادية صغيرة، تشكّلت جبهة أطلقت على نفسها اسم "كتاب النصرة لأهل الشام"، إذ أعلنت جبهة النصرة وجودها في 22 يناير/كانون الثاني 2012 بقيادة "أبو محمد الجولاني"، وبعد الإعلان عن وجود جبهة النصرة، أعلن أبو محمد الجولاني في رسالة صوتية أنّه ورفاقه قدّموا إلى سوريا من ساحة جهادية أخرى بعد أشهر قليلة من بدء الأزمة لمساعدة أهالي شرق البحر الأبيض المتوسط ضد بشرّار الأسد.

لم يمضِ وقت طويل على نشاط جبهة النصرة لتتزايد تزايداً كبيراً؛ لتصبح من أهم الجماعات المسلحة وأقواها في سوريا في غضون أشهر؛ بسبب الدعم المالي الواسع من بعض الدول الإقليمية وتجنيّد دول الخليج، وتونس، وليبيا، والمغرب والجزائر واليمن ودول أوروبية.

جبهة النصرة بعد رفضها الاندماج مع داعش بايعت تنظيم القاعدة وفي عام 2013 أعلن زعيم تنظيم القاعدة "أيمن الظواهري" أنّ النصرة هي الممثل الوحيد لتنظيم القاعدة في سوريا، ونتيجة ضغوط داخلية وخصوصاً من ناحية تأثيرها السلبي على الفصائل المعارضة لأنّها مصنّفة تصنيفاً إرهابياً، وقد أعلن زعيمها أبو محمد الجولاني في 28 تموز/يوليو 2016 فكّ ارتباط جبهة النصرة بتنظيم القاعدة، وتغير اسمها بداية إلى جبهة فتح الشام ثم هيئة تحرير الشام بعد انضمام فصائل عديدة صغيرة إليها، وعلى الرغم من تغيير الاسم وإعلان فكّ الارتباط بالقاعدة، إلا أنّ نظرة دمشق والدول الغربية إلى الهيئة لم تتغير، وما تزال تُصنّف مجموعة إرهابية، وقد استهدفتها واشنطن مرات عدّة، كما تشكّل هدفاً لمقاتلات قوات النظام السوري وحليفاتها روسيا.

تسيطر جبهة النصرة على نحو نصف مساحة محافظة إدلب التي تُعدّ معقلها في شمال غرب سوريا، وعلى الرغم من وجود فصائل إسلامية جهادية أخرى أقلّ نفوذاً في المنطقة، بينها "تنظيم حُرّاس الدين" الذي يُعدّ ذراع تنظيم القاعدة في سوريا.

تنشط جبهة النصرة الآن في محافظة إدلب السورية، وبعد استعادة طالبان السيطرة على أفغانستان وتشكيل حكومة، تأمل في اكتساب الشرعية لتشكيل دولة إسلامية في إدلب بدعم من الجهات الإقليمية والدولية.

ثانياً: أسباب ظهور الجماعات السلفية الجهادية في الشرق الأوسط وسياقاتها

في العقود الثلاثة الماضية، أثرت ستة أحداث مهمة على الحياة السياسية للسلفيين ومواجهتهم مع الحكومات العربية.

1. أدى انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان، وعودة المقاتلين السلفيين المعروفين بالعرب الأفغان إلى بلادهم إلى اشتباكات دامية بين السلفيين والحكومات العربية في التسعينيات في بعض الدول الإسلامية مثل: (مصر، والجزائر، والسعودية) ولكن هذه الاشتباكات أدت في النهاية إلى قمع الجهاديين السلفيين.
2. أدى احتلال الكويت، وتدفق القوات الأمريكية إلى المنطقة لمحاربة الجيش العراقي إلى قيام العلماء السلفيين بإصدار فتاوى تحظر استعمال الكفار لمحاربة المسلمين، ممّا خلق تياراً سلفياً قوياً في شبه الجزيرة العربية.
3. أحداث 11 سبتمبر 1002 أيضاً كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على الحياة السياسية للسلفيين، وبعد أحداث 11 سبتمبر ألقى الأمريكيون باللوم على نظام التعليم السعودي في ظهور التيار السلفي المتطرف، واتهموا الحكومة السعودية باسترضاء المتطرفين السلفيين، ودعوا إلى إصلاح نظام التعليم في المدارس والجامعات الدينية السعودية.
4. خلق احتلال العراق عام 3002 أرضية جديدة للسلفيين المتطرفين لمحاربة الكفار (الولايات المتحدة) والشيعية في العراق.
5. العامل الخامس الذي خلق سياقاً جديداً للسلفيين الجهاديين كان الربيع العربي، وفي الواقع تُعدُّ حركات التغيير والثورات العربية عام 0102 نقطة تحوُّل في تاريخ السلفية، وقد أتاح سقوط الدكتاتوريين في المنطقة فرصة مثالية للسلفيين، وفي هذا الصدد اتخذت الحركة السلفية الجهادية الموقع الأكثر فاعلية في مواجهة الثورات العربية.
6. ستؤدي عودة طالبان إلى السلطة في المستقبل أيضاً إلى خلق أرضية جديدة للسلفيين الجهاديين. وفضلاً عن أنّ هنالك أسباباً عديدة لنمو الجماعات السلفية الجهادية في المنطقة وتوسُّعها، ومنها ما يلي:

1. الأزمة الاقتصادية والفقر الثقافي والتأثير الدائم للتقاليد الدينية: في العديد من المجتمعات الإسلامية، أدى وجود الأزمة الاقتصادية والفقر الاقتصادي من جهة، وانتشار التقاليد الدينية والأحكام المسبقة من جهة أخرى، إلى توفير الأرضية لنمو الأفكار السلفية وانتشارها.

2. عدم كفاءة الحكومة: يُعدُّ عدم كفاءة الحكومة أساساً جيداً جداً لنمو الأفكار السلفية، فحينما تصبح الحكومة غير فعَّالة وظيفياً في أداء واجباتها، فإنَّ هذا يتسبَّب في هجر جزءٍ كبيرٍ من المجتمع، ويصبح هذا أرضية جيدة للسلفيين الجهاديين عادة ما تفتقر الحكومة الفاشلة إلى الشرعية، وعلى الرغم من المزاعم العديدة، فهي غير قادرة عملياً على القيام بأعمال عامة خاصة مثل: (توفير التعليم، والعلاج، وحل النزاعات بين الناس)، وفي هذا الصدد يمكن القول إنَّ من أهمِّ أسباب الانتشار السريع لداعش يكمن في حقيقة أنَّه استغلَّ موجة استياء الأهالي في بعض المحافظات العراقية استغلالاً جيداً، إذ كانت المحافظات العراقية التي خضعت لسيطرة داعش تعاني معاناةً أساسيةً من مشاكل مع الحكومة المركزية، والتي كانت في بعض الأحيان مرتبطة بعدم كفاءة الحكومة.

3. استعمال استراتيجية الإعلام والدعاية: من أدوات نجاح الجماعات السلفية الجهادية أنَّها تستعمل وسائل الإعلام والشبكات الفضائية بوصفها منصةً للدعاية، وعلى الرغم من أنَّ الجماعات السلفية الجهادية مناهضة للحدثة، إلا أنَّها تستفيد استفادةً جيدةً من الأدوات الجديدة مثل: الوسائط الافتراضية نحو: "فيسبوك، وتويتر" وما إلى ذلك، ويوجد حالياً 57 قناة فضائية متاحة للسلفيين، فضلاً عن آخر الأخبار المنشورة على "فيسبوك، ويوتيوب، وما شابه".

4. التأكيد على قيام الحكومة الإسلامية: يُعدُّ كثير من المسلمين في الدول الإسلامية والعربية أنَّ زوال الخلافة الإسلامية وتشكيل حكومات سلطوية وغير إسلامية في الدول الإسلامية من أهمِّ أسباب مشاكل المسلمين اليوم لهؤلاء الناس، فإنَّ تشكيل دولة إسلامية هو الطريق للخروج من مشاكل اليوم، وبداية العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، لذلك فإنَّ شعار تدمير الحدود وإقامة خلافة إسلامية واحدة، يمكن أن يجذب كثيراً من الناس من الدول العربية والإسلامية، وفي هذا الصدد أعلن تنظيم "داعش" أنَّه يسعى لإزالة الحدود وإقامة خلافة إسلامية واحدة في الأراضي الإسلامية، ولإعطاء جانب عملي لهذا الشعار، فقد وسَّع نشاطه من العراق إلى سوريا واصلها سوريا والعراق بأرض واحدة.

5. صعود الشيعة: عامل آخر في انتشار الجماعات الجهادية في الشرق الأوسط، خاصة في العراق وسوريا ولبنان، هو صعود الشيعة في إيران و ثم في دول أخرى في الشرق الأوسط في قبائل الجانب السني، فإنَّ الخلافة الإسلامية أهم بكثير من الحكومة الشيعية، ولطالما كان للسنة إمبراطوريات

وخلافة عبر التاريخ، ويرى أهل السنة أنَّ أهم سبب للابتعاد عن الله هو ابتعادهم عن إيمان وأعمال سلفهم، لذا فإنَّ العودة إلى السلف التي يقترحها السلفيون السبيلُ الوحيد للخروج من هذا الوضع في العالم الإسلامي الذي يقبله الشباب أيضاً.

6. الدعم الخارجي: من العوامل التي تمكنت دائماً من تنفيذ الأفكار السلفية عملياً هو امتلاك موارد مالية وفكرية من الخارج، وهي ضرورية لتنظيم مؤيديهم وحشدتهم؛ لتلقي هذه الموارد المتعددة، وقد عبّر "جون إسبوزيتو²، وجون فول³" وهما مفكران أوروبيان كرساً جزءاً من دراستهما للجماعات الإسلامية عن دعم واسع النطاق للجهاديين السلفيين من مجموعة واسعة من الحكومات، بما في ذلك ليبيا، والسودان، والمملكة العربية السعودية، ودول الخليج، وغيرها، وما تزال الجماعات السلفية في الشرق الأوسط تتلقّى التمويل من الحكومات العربية؛ لتحقيق أهدافها.

7. استعمال أساليب غير تقليدية في الحرب مثل الحرب غير المتكافئة: في الحرب المتناظرة الكلاسيكية تُوجّه الضربات بالقدر نفسه قبالة مدي الضربة في منطقة ما، وعلى العكس من ذلك، فإنَّ في الحرب غير المتكافئة إذا تُلقيت الضربة تُردُّ عليها ردّاً مختلفاً، وعلى مستوى مختلف، لا تتبع الجماعات السلفية الجهادية مثل: (داعش، وجبهة النصرة) مثل هذه القواعد وبسبب الافتقار إلى الدعم اللوجستي المناسب، ونقص الخبرة المهنية في الحرب الكلاسيكية؛ وهذا التكتيك يجعلها ناجحة في كثير من الحالات، -وواقعاً- تجعل الحروب غير المتكافئة وغير التقليدية تحركاتهم اللاحقة غير متوقعة.

2. John Esposito

3. John Foll

ثالثاً: مستقبل الجماعات السلفية الجهادية الناشطة في الشرق الأوسط

استمرار أو انتهاء الأزمات في المنطقة: من العوامل المهمة في زيادة نشاط الجماعات السلفية الجهادية، وخاصة تنظيمي القاعدة و"داعش"، اتساع أراضيها في السنوات الأخيرة بعد الثورات العربية، والفراغ الأمني الذي أحدثته انهيار بعض الدول، ومن ثمَّ فإنَّ استمرار عدم الاستقرار وانعدام الأمن في دول المنطقة، بما في ذلك ليبيا، ومصر، واليمن، وسوريا، وأفغانستان، والعراق، سيؤدِّي إلى نجاح الجماعات السلفية، وفي هذا الصدد يقول "عبدالله بن محمد" أحد المنظرين الجدد للحركة السلفية الجهادية، في كتابه "المذكرة الإستراتيجية": في حالة عدم الاستقرار والفراغ الأمني، يمكن للجماعات الإسلامية الجهادية جذب الآخرين عن طريق توفير الأمن وإحياء الخلافة وإقامة دولة إسلامية⁽⁴⁾.

العوامل المؤثرة على مستقبل الجماعات السلفية الجهادية في الشرق الأوسط
استمرار أو إنهاء الأزمات الإقليمية
التغيير في مستوى قيادة التنظيم وظهور قائد "ذو كاريزما"
مصير ساحات القتال الكبرى مثل أفغانستان والعراق وسوريا
التنافس أو الصراع التنظيمي بين "داعش" والقاعدة
نهج واستراتيجية الفاعلين الإقليميين والدوليين
مستوى التعاون والتنسيق الأمني بين الدول
تقليل أو زيادة العنصرية والتمييز ضد المسلمين في الدول الغربية
التماسك أو التنافس التنظيمي بين داعش والقاعدة
عدم وجود تماسك اجتماعي ووجود انقسامات دينية ومذهبية

ظهور زعيم "ذو كاريزما": العامل الثاني المؤثر في مستقبل الجماعات السلفية الجهادية، لا سيما داعش والقاعدة، هو ظهور زعيم "ذو كاريزما"، وغالبًا ما تعمل الحركات الإسلامية على أساس قيادة قوية وجذابة. تُظهر نظرة على الحركات الإسلامية في القرن الماضي في الشرق الأوسط

وشمال إفريقيا أن إزالة القيادة "ذات الكاريزما" من المشهد غالباً ما تعني بداية تراجع هذه الحركات، فكان مقتل بن لادن في عام 2011 أكبر تحدياً للقاعدة منذ سنوات، إذ لعبت شخصية أسامة بن لادن الجذابة وشعبيته بين أعضاء القاعدة وبلاغته دوراً رئيساً في تعزيز الوحدة التنظيمية للقاعدة، فضلاً عن إزالة الوجه "ذو الكاريزما" والموحد للقاعدة، فإنَّ وفاة ابن لادن شكَّلت تحدياً لخلافة التنظيم في المستقبل، فكان افتقار "أيمن الظواهري" للشخصية "ذات الكاريزما" وعدم قدرته على الإدارة والاندماج في التنظيم من الأسباب الرئيسة لضعف القاعدة في السنوات الأخيرة⁽⁵⁾، هذا فضلاً عن أنَّ القاعدة واجهت مشكلةً كمشكلة "داعش" في حصولها على زعيمٍ غير متحلٍّ بـ "كاريزما" بعد مقتل "أبو بكر البغدادي"، وعلى عكس "أبو بكر البغدادي" لا يتمتع زعيم "داعش" الجديد "أبو إبراهيم القرشي" بـ "كاريزما" وشعبية عموماً، ويمكن عدّها ظهور شخصية "ذات كاريزما" في تنظيم "داعش" أو القاعدة عاملاً مهماً في زيادة قوتهم في المستقبل، ولذلك يمكن القول إنَّ خصائص القادة الجُدد وشخصياتهم ستلعب دوراً مهماً في الوضع المستقبلي لهاذين التنظيمين.

نهج الفاعلين الإقليميين والدوليين واستراتيجيتهما: يُعدُّ نهج وجهة نظر ونوعها الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية تجاه الجماعات السلفية الجهادية المعيار الثالث المؤثِّر في مستقبل هذه الحركة، ومن الواضح أنَّ الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية لعبت دوراً مهماً في إنشاء القاعدة وفروعها، فعلى سبيل المثال تشكَّلت القاعدة بدعم من الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وباكستان، وتحظى الفروع الأخرى للقاعدة، بما في ذلك جبهة النصرة في سوريا، بدعم العديد من الجهات الفاعلة، خاصة دول خليجية، كما تتمتع تنظيم "داعش" بدعم العديد من الجهات الفاعلة الإقليمية والدولية، لا سيَّما في سوريا وفي سنواتها الأولى، فعلى الرغم من أنَّ هذه الجهات الفاعلة لم تدعم "داعش" دعماً علنياً ومباشراً، إلا أنَّها لعبت دوراً مهماً في تقوية "داعش" عن طريق فتح حدودها أو إطلاق العنان للدعم المالي المقدم من للجمعيات الخيرية وغيرها، بشكل عام فإن داعش لم تكن لتتمكن من الظهور والنمو لولا دعم الأطراف الإقليمية والدولية. لذلك يمكن القول أنه طالما أن هذه الدول تدعم الجماعات السلفية الجهادية لتحقيق أهدافها في دول أخرى، فإن هذه الجماعات ستستمر في المستقبل وستواصل نشاطها في مختلف القارات.⁽⁶⁾

التعاون والتنسيق الأمني بين الدول: التنسيق الأمني والاستخباراتي بين دول المنطقة والقوى العظمى يزيد من إمكانية إضعاف والقضاء على التنظيمات المتطرفة والإرهابية في المنطقة، ولكن

إذا لم يكن هنالك تعاون وتنسيق بين دول المنطقة، فإن ذلك سيزيد من قدرة التنظيمات الإرهابية، وخاصة تنظيمي القاعدة و"داعش"، على البقاء والتوسُّع في المنطقة.

تقليل أو زيادة العنصرية والتمييز ضد المسلمين في الدول الغربية: عامل آخر مؤثِّر في مستقبل المنظمات الإرهابية وتوسُّعها هو زيادة العنصرية، ومعاداة الإسلام، والتمييز من الدول الغربية تجاه المسلمين، إذ سيؤدِّي ذلك إلى زيادة انضمام قوَى جديدة إلى الجماعات المتطرفة، لا سيَّما "داعش" والقاعدة، فعلى سبيل المثال، كانت المعاملة اللاإنسانية للسجناء العراقيين في بوكا وأبو غريب من قبل القوات الأمريكية حافزًا للقاعدة على التجنيد من خلال نشر هذه الصور. كما أدى إلى زيادة عنف التنظيم وتطرفه. حادثة شارلي إيبدو في عام 2015، التي نفَّذها سعيد وشريف كواشي، هي أيضًا مثال مهم على ذلك؛ بعد أيام قليلة من هذا الحادث الإرهابي، أعلن تنظيم القاعدة في اليمن رسميًا مسؤوليته عن الهجوم. وقال زعيم الجماعة في رسالة بالفيديو إن المهاجمين تلقوا أوامر بمهاجمة مكتب شارلي إيبدو لمناهضة الإسلاميين وإهانة نبي الإسلام.

التماسك التنظيمي أو المنافسة: تؤثر المنافسة والصراع داخل التنظيمات السلفية الجهادية على قدرتها على البقاء والتوسع في المستقبل؛ لأنه يضعفهم بشدة من الداخل. من ناحية أخرى، فإن تماسك التنظيمات السلفية الجهادية وغياب الثغرات الداخلية سيعزز ويزيد عملياتها وتحركاتها في المنطقة.

عدم وجود تماسك اجتماعي ووجود انقسامات دينية وطائفية: يعتبر الافتقار إلى التماسك الاجتماعي عاملاً داخلياً آخر يؤثر على نمو وتمكين الجماعات الراديكالية. حيث أدى الافتقار إلى التماسك الاجتماعي ووجود الانقسامات الدينية والطائفية في سوريا إلى تحولات في الهوية لكل مجموعة عرقية في البلاد. أدى تكوين القبائل الخاصة في سوريا إلى اصطفاة وانقسام عميقين، مع وجود أقسام من الأغلبية السنية من جهة والأقليات الرئيسية، بما في ذلك العلويون والمسيحيون والدروز من جهة أخرى. بالإضافة إلى ذلك، أدى تهميش العديد من المناطق السنية في العراق في السنوات الأخيرة إلى انضمام البعض إلى الجماعات السلفية المتطرفة.

رابعاً: السيناريوهات المستقبلية للجماعات السلفية الجهادية في الشرق الأوسط

أ) السيناريوهات المفضلة

السيناريو المفضل للجماعات السلفية الجهادية

السيناريو المفضل للجماعات السلفية الجهادية في المنطقة هو إحياء الخلافة وإقامة الدولة الإسلامية. انهارت الخلافة العثمانية عام 1924 واستبدلت بحكومة قومية علمانية. منذ ذلك الحين، أصبحت فكرة إحياء الخلافة نوعاً من الحنين إلى الماضي بين المفكرين والناشطين الاجتماعيين والسياسيين في جميع أنحاء العالم الإسلامي. وفي هذا الصدد، فإن أحد أسباب تركيز الجماعات السلفية على الخلافة الإسلامية وإحيائها هو في الواقع الرغبة العامة للطائفة السنية في إحياء الخلافة في العصر الحديث.

وبحسب قادة الجماعات التكفيرية السلفية، بما في ذلك داعش، فإن رسالة إعادة تشكيل الخلافة الإسلامية ستؤدي إلى عودة العصر الذهبي للخلفاء الراشدين. لذلك، زعم أبو بكر البغدادي في رسالته الأولى بصفته الخليفة الجديد للمسلمين أنه يريد أن يعيد لهم كرامتهم وشرفهم وحقوقهم، وأن يجعل المسلمين مرة أخرى زعيماً وقائداً للعالم.

ويعتبر كثير من المسلمين في الدول الإسلامية والعربية أن زوال الخلافة الإسلامية وتشكيل حكومات سلطوية وغير إسلامية في الدول الإسلامية من أهم أسباب مشاكل المسلمين اليوم. بالنسبة لهؤلاء الناس، فإن تشكيل دولة إسلامية هو الطريق للخروج من مشاكل اليوم وبداية العصر الذهبي للحضارة الإسلامية. يعتقد الكثير من الناس في الدول العربية الإسلامية أن أحد أسباب تراجع الدول الإسلامية هو تطبيق اتفاقية سايكس بيكو بعد الحرب العالمية الأولى، التي قسمت الدول العربية الإسلامية إلى دول صغيرة وخلقت حدوداً بينها.

وفي هذا الصدد، أعلن تنظيم داعش أنه يسعى لإزالة الحدود وإقامة خلافة إسلامية واحدة في الأراضي الإسلامية، وإعطاء جانب عملي لهذا الشعار، فقد وسع نشاطه من العراق إلى سوريا واصفاً سوريا والعراق بأرض واحدة. وسرعان ما أزلت داعش السدود والحواجز الحدودية بين العراق وسوريا بعد احتلالها لجزء من العراق، معلنة أن هذه كانت الخطوة الأولى في تدمير الحدود بين جميع الدول الإسلامية. بالإضافة إلى داعش، ذكرت جماعات جهادية سلفية أخرى من القاعدة وطلابان وجبهة النصرة أن هدفها النهائي هو إقامة دولة إسلامية.

السيناريو المفضل لخصوم الجماعات السلفية الجهادية

الجماعات السلفية الجهادية تحرم وتعارض أي فرد أو جماعة تعارض معتقداتها كعدو، لذلك يمكن القول إن كل السلفيين غير الجهاديين يريدون القضاء على هذا النوع من الجماعات. وعلى الرغم من أن عددًا من الدول تدعم وتستخدم بعض الجماعات السلفية الجهادية كأدوات لتحقيق أهدافهم، إلا أنهم في النهاية لا يريدون أبدًا قوتهم غير المحدودة؛ لأنهم أيضًا على قائمة أعداء الجماعات الجهادية؛ سواء كعدو بعيد أو عدو قريب.

في غضون ذلك، ربما يكون الشيعة أهم خصوم الجماعات السلفية الجهادية. وفي الصف التالي تتأثر العديد من الدول الإقليمية والدولية مثل العراق وسوريا ولبنان وإيران وروسيا والصين، بتزايد نشاط هذه الجماعات.

بالتأكيد ليس من الواقعي توقع الانهيار الكامل للجماعات السلفية الجهادية. لأن هذه الجماعات، باستخدام أيديولوجيتها وشعاراتها الصارمة، والتي تعتبر مفاهيم إسلامية كالجهاد والهجرة والخلافة والدولة الإسلامية وما إلى ذلك، لقد خلقوا نوعًا من نظام الفكر الذي لن يقضي عليه بمواجهة عسكرية. من ناحية أخرى، تتجاهل بعض الدول المخاطر العالمية لاستخدام الإرهاب كأداة، وخاصة الإرهاب التكفيري، تستخدمه أحيانًا لخدمة مصالحها وتحقيق التوازن بين القوى في المنطقة المتنازع عليها. في الواقع، باستخدامهم، يدخلون في حروب بالوكالة؛ لأن تكلفة الحرب المباشرة مرتفعة للغاية اليوم.

ب) السيناريوهات الممكنة

سيناريو قيام الدولة الإسلامية

أعطى تشكيل الخلافة الإسلامية من قبل داعش في سوريا والعراق الأمل والحافز للعديد من الجماعات السلفية في المنطقة لتأسيس دولة إسلامية، ولكن من ناحية أخرى، تسببت هزيمة داعش في اليأس في هذه الجماعات.

بالطبع، مع الهزيمة الجغرافية لداعش في العراق وسوريا، لن تحتفي فكرة إحياء الخلافة وفكرة بناء الدولة بين قادة داعش والجماعات السلفية الأخرى في المنطقة. وبالنظر إلى أوضاع الدول الهشة في الشرق الأوسط، وخاصة أفغانستان وبعض أجزاء القارة الأفريقية، مثل ليبيا، لا يزال هناك خطر من بقاء وظهور الجماعات الإسلامية الراديكالية لتشكيل الحكومة؛ لأن هدفهم الرئيسي هو الوصول إلى السلطة وإحياء نظامهم المثالي، وهو الخلافة.

فعلى سبيل المثال، بعد فشل داعش في الحفاظ على الدولة الإسلامية المزعومة وعدم قدرتها على اكتساب الشرعية الدولية، تحاول طالبان الآن اكتساب الشرعية الدولية لحكومتها من خلال تشكيل الإمارة الإسلامية.

وفي هذه الأثناء، عوامل كالرغبة في إحياء الخلافة والحكومات الضعيفة والهشة والحكومات غير الفعالة والصراعات العرقية والطائفية هي محركات هذا السيناريو. بطبيعة الحال، فإن عدم شعبية الجماعات السلفية الجهادية، واستخدام الأساليب الراديكالية والتكفيرية، ووجود الجماعات الإسلامية المتنافسة، والتنافس والحرب بين الجماعات السلفية، ونموذج حقوق الإنسان وانعكاساته السياسية والأخلاقية، هي عقبات أمام سيناريو قيام الدولة الإسلامية.

سيناريو دمج الجماعات السلفية الجهادية

يسعى الأفراد والجماعات والشركات والدول إلى تحقيق أهدافهم وكسب المزيد من الفوائد من خلال تشكيل تحالف، وزيادة قوتهم، وتعظيم الإيرادات من خلال تقاسم المسؤولية بينهم وبين الآخرين. في غضون ذلك، تتحالف الجماعات السلفية الجهادية أحياناً مع بعضها البعض لتحقيق هدفها وهو تشكيل الحكومة. فعلى سبيل المثال، منذ بداية الأزمة السورية في عام 2011، كانت بعض جماعات المعارضة في البلاد، بما في ذلك الجبهة الإسلامية السورية وجيش الفتح، نتيجة لتحالفات حركات سلفية صغيرة ومتوسطة الحجم. في أفغانستان، دعمت القاعدة أيضاً سيطرة طالبان على أفغانستان وإنشاء الإمارة الإسلامية.

في غضون ذلك، يعد اختيار تنظيم داعش وانضمامه إلى القاعدة أحد السيناريوهات الممكنة لمستقبل التنظيمين الرئيسيين في المنطقة. فإن تنظيم داعش هو في الأساس فرع تابع للقاعدة وكان حليفاً للقاعدة في الماضي. ولكن منذ عام 2013، وبعد إعلان خلافة داعش، كانت المنظمتان الإرهابيتان تتنافسان بل وتتقاتلان مع بعضهما البعض.

ولكن بعد خمس سنوات من المنافسة والاقتتال بين هاتين التنظيمين، تكثفت التحذيرات والمخاوف بشأن إعادة التعاون والاندماج بين داعش والقاعدة. فقد قال نائب رئيس الجمهورية إياد علاوي في مقابلة خاصة عشية تحرير الموصل في أبريل/ نيسان عام 2017 "هناك معلومات مؤكدة عن محادثات بين ممثلين عن القاعدة وداعش للتعاون المشترك وتشكيل تحالف محتمل". ويقول مدير مجلس الأمن الفيدرالي الروسي ألكسندر بورتونيكوف في افتتاح المؤتمر السابع عشر لقادة الأمن في 7 نوفمبر/ تشرين الثاني 2018، "تعقد المنظمات الإرهابية بعد انكسارها في العراق وسوريا مشاورات لدمج وتطوير شبكة إرهابية جديدة وكبيرة على نطاق عالمي".

هناك عدد من الدوافع التي تعمل كمحفزات للتحالف بين القاعدة وداعش، منها ضعف داعش والقاعدة، والتشابه الأيديولوجي للتنظيمين، والعلاقة الشخصية بين قادتهما. في الواقع، فإن نقاط ضعف داعش والقاعدة منذ عام 2017 فصاعدًا، أدى إلى ظهور نوع من الرغبة الاجبارية في اتحادهما، ويمكن أن يسمى خيارًا قسريًا، يجعل القاعدة وداعش يعملان معًا. ومع ذلك فإن فرضية دمج القاعدة وداعش حاليًا امر مستبعد، وذلك بالنظر الى بعض الاختلافات والتمايز في الأهداف والأولويات، وتفوق القاعدة الميداني على داعش والتنافس على القيادة، اضافة الى الخوف من الانكشاف في تحديد الخلايا النائمة لكل منهما بالمستقبل القريب.

وبالطبع على الرغم من الاختلافات الهيكلية بين التنظيمين فإن لهما أهدافاً وأعداءً مشتركين؛ لذلك مع إزالة العقبات والاختلافات الرئيسية فسيناريو دمجهما على المدى المتوسط أو البعيد يبدو ممكنًا، والجدير بالذكر أن ظهور بعض الدوافع والتطورات يمكن أن يسرع من عملية الدمج، من قبيل ظهور شخصية ذات كاريزما عالية من أي الطرفين سيمكّنهما من الاتحاد مستقبلاً.

ج) السيناريوهات المحتملة

من السيناريوهات المحتملة للجماعات السلفية الجهادية في الشرق الأوسط القيام بأعمال وأنشطة سرية دون احتلال الأرض، والاعتماد على سياسة الانتظار حتى خلق فرصة مناسبة لاحتلال الأرض بهدف تشكيل دولة إسلامية. لذلك، ستحاول الجماعات السلفية الجهادية التابعة للقاعدة أو داعش في هذه المرحلة وضع تكتيكات حرب العصابات على أجدتها.

ومن أهم تكتيكات هذه الجماعات في هذه المرحلة تبني سياسة "الذئاب المنفردة". في الخطاب السلفي، يشير مصطلح "الذئاب المنفردة" إلى الأشخاص الذين يرتكبون أعمال عنف بمفردهم، دون الانتماء إلى جماعة، لدعم تلك الجماعة أو الحركة أو التنظيم. ويصعب على الأجهزة الأمنية التعرف على هؤلاء الأشخاص، لأنهم لا تربطهم صلة واضحة بالمنظمات الإرهابية وهم ينفذون العمليات بمفردهم.

استخدام تكتيك "الذئاب المنفردة" له العديد من المزايا الهامة، بما في ذلك عدم الحاجة إلى التخطيط المعقد والمنهجي، والتكلفة المنخفضة، وانخفاض عدد المهاجمين، والقدرة الكاملة للمهاجم على اختيار مكان ووقت العملية، وعمليات مفاجئة وغير متوقعة، وصعوبة في التعرف على المهاجم واستخدام معدات بسيطة كالدرجات النارية والأسلحة الخفيفة لتنفيذ عمليات إرهابية.⁽⁷⁾

الخاتمة

تحتاج القاعدة وداعش وغيرها من التيارات الإسلامية الراديكالية إلى درجة معينة من الفوضى وعدم الاستقرار للبقاء على قيد الحياة وتوسيع أنشطتها. هناك مؤشرات على أن عدم الاستقرار وانعدام الأمن الناجمين عن الحرب الأهلية سيجعل من أفغانستان بؤرة للجماعات المتطرفة في المنطقة في المستقبل.

مما لا شك فيه، أنه مع صعود حركة طالبان، ستصبح أفغانستان ملاذًا لنمو الجماعات والحركات الإسلامية وتطورها في المنطقة والعالم. ستعمل أفغانستان تحت حكم طالبان أيضًا على تغذية نمو الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى وباكستان وبنغلاديش والأقاليم المسلمة في الهند والصين.

ورافقت سيطرة طالبان على كابول تهنئة من معظم الجماعات السلفية الجهادية. رحبت هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً) في سوريا بسيطرة حركة طالبان على أفغانستان، بعد 20 عاماً من هزيمتها على يد القوات الأميركية. وقالت الهيئة في بيان "إننا من شام الرباط، نبارك لإخواننا الطالبان وأهلنا في أفغانستان على هذا الفتح المين، سائلين المولى أن يمن على الثورة السورية بنصر مؤزر، تحرر به الأرض (...). ويسود العدل في ظل شريعة الرحمن."⁽⁸⁾

كما هنا تنظيم القاعدة في اليمن زعيم حركة طالبان هبة الله أخوندزاده، مؤكداً أن هذا الحدث التاريخي هو مقدمة لغزوات إسلامية مهمة. دعا تنظيم القاعدة في جزيرة العرب من أجل نجاح طالبان في إرساء الشريعة الإسلامية. ونشرت وسائل إعلام جهادية تصريحات تشيد بحركة طالبان. وقالت وسيلة الإعلام المرتبطة بالقاعدة "ثبات" في بيان لها في 17 آب/ أغسطس 2021، إن الانتصار يمثل حقبة جديدة معربة عن أملها في أن تكرر عناصر القاعدة النجاح في مناطق أخرى من الصراع. قارن المنشور هيمنة طالبان على أفغانستان مع انتصارات أخرى في التاريخ الإسلامي، مثل سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين، وتوقع أن تظل في الذاكرة لفترة طويلة قادمة. ووصفت وسائل الإعلام نجاح طالبان بأنه نجاح في تجاوز احتمالات كبيرة، زاعمة أنها كانت شرارة نار من شأنها أن تعيد الشريعة الإسلامية إلى الأراضي الإسلامية. وأصدرت عدة مجموعات إعلامية أخرى موالية للقاعدة، بما في ذلك جيش الملاحم الإلكتروني، بياناً مشتركاً في 18 أغسطس/ آب 2021.

ختاماً، تجدر الإشارة إلى أن مكافحة الإرهاب لا يمكن اعتبارها خاصة بدولة أو منطقة جغرافية. في الوقت الحاضر، لا يوجد بلد في مأمن من مخاطر وتهديدات الإرهاب. لذلك، يجب اعتماد آليات عالمية لمكافحة الإرهاب والتطرف. لذلك، فإن اتخاذ تدابير مثل الإجراءات التقليدية لمكافحة الإرهاب والتطرف، وإنشاء غرف مشتركة لتبادل المعلومات وتبادلها، والتعاون العسكري والأمني بين جميع البلدان، وزيادة التعاون بين الدول في ملاحقة الأشخاص المطلوبين، واتخاذ التدابير الاجتماعية والثقافية. على المستوى المحلي، يمكن أن يساعد في القضاء على ظاهرة الإرهاب.

مقترحات سياساتية

العراق من أكثر دول المنطقة تضرراً من أنشطة الجماعات السلفية الجهادية، بما في ذلك القاعدة وداعش. فبعد عام 2003، أصبح العراق من أهم قواعد تنظيم القاعدة، وبعد ظهور داعش عام 2013، أصبح أهم قاعدة لهذا التنظيم الإرهابي. ومن بين السيناريوهات التي نوقشت في هذه الورقة سيناريو هزيمة الجماعات السلفية الجهادية لصالح العراق. وأسوأ السيناريوهات بالنسبة للعراق هو قيام هذه الجماعات بتشكيل دولة إسلامية واندماج القاعدة وداعش، الأمر الذي سيزيد من قوة هاتين التنظيمين في المستقبل. لذلك، من الضروري أن يتخذ العراق إجراءات لمنع نجاح سيناريوهات إعادة إقامة الخلافة في البلد واندماج داعش والقاعدة في المستقبل. وتشمل هذه الإجراءات والتدابير ما يلي:

- دعم تشكيل حكومة مركزية مستقرة وقوية في العراق.
- تعزيز قدرات القوات الأمنية والعسكرية العراقية.
- تجنب ومنع نشوب الصراعات الطائفية.
- إعادة تنشيط جهود الاستخبارات والعمل مع القوات المحلية لكشف الخلايا النائمة.
- استمرار الضغط على خلايا داعش الإرهابية لتدمير التنظيم بالكامل.
- ملاحقة عناصر داعش وخلاياها النائمة.
- استمرار الهجمات البرية والجوية على مقار وملاجئ داعش الرئيسية.
- تخفيف الموارد المالية لداعش عن طريق قطع المساعدات المالية وعدم دفع الفدية.

- تأمين الحماية المضاعفة للسجون التي تضم نزلاء عناصر داعش.
- ضبط حدود العراق مع سوريا ومنع تسلل الدواعش من سوريا إلى العراق.
- الإسراع في توطين العرب السنة من النازحين وارجاعهم الى مناطقهم.
- توفير التسهيلات الاقتصادية والمعيشية لمواطني المناطق المحررة.
- حل المشاكل الاقتصادية ومضاعفة الجهود لخلق فرص عمل للشباب لمنعهم من الانضمام إلى داعش.
- إنشاء غرف عراقية مشتركة مع دول الجوار بهدف تبادل المعلومات.

المصادر:

1. علي نجات، «آينده القاعده»، (مستقبل القاعدة)، مجلة المستقبل، 2019، العدد 55، ص 24.

2. أمره آيتكين، «أفغانستان وطالبان.. رحلة الحرب والسلام»، الأناضول، آذار/مارس 2020، على الرابط:

<https://2u.pw/Nh21D>

3. لينا الخطيب، «استراتيجية تنظيم الدولة الإسلامية: باقية وتمتدّد»، كارنيغي للشرق الأوسط، 29 يونيو/حزيران 2015، على الرابط:

<https://carnegie-mec.org/2015/06/29/ar-pub-60542>

4. عبدالله بن محمد، المذكره الاستراتيجية، الطبعة الاولى، دمشق: دار التمرد، 2014، ص 71.

5. Ali Nejat, “Absence of Charismatic Leadership and Weakness of al-Qaeda”, Tehran, International Studies and Research Institute Abrar Moaser, 2018.

6. علي نجات، «العراق وإمكانيات تصدّر داعش المشهد مرة أخرى»، سلسلة إصدارات، مركز البيان للدراسات والتخطيط، أغسطس/ آب 2021، ص 16.

7. علي نجات، «داعش و تاكتيك گرگهای تنها»، (داعش وتكتيك الذئاب المنفردة)، معهد أبرار معاصر طهران، 31 أغسطس/ آب 2016، على الرابط:

<https://tisri.org/?id=1o1rhn4j>

8. «هيئة تحرير الشام ترحب بسيطرة طالبان على أفغانستان»، راي اليوم، 18 أغسطس/ آب 2021، على الرابط:

<https://2u.pw/4F8W4>